

يوسف الصديق .. من ظلمات السجن إلى عزيز مصر «2-2»

بضعوا بضاعتهم التي جاءوا بها لبيادوا بها الطعام وغيره في أمتعتهم من حيث لا يشعرون لعلهم يرجعون إليه مرة ثانية، وقد جعل يوسف عليه السلام ذلك ليكون وسيلة ليعود إخوته إليه..

عاد إخوة يوسف عليه السلام إلى أبيهم يعقوب عليه السلام وجمالهم محملة بالطعام وقالوا له: يا أبانا إن عزيز مصر قد أكرمنا إكراماً زائداً وإنه ارتهن "شمعون" وقال: انتوثي باخيمك الصغير من أبيكم، فإن لم تاتوثني به فلا كيل لكم عندي ولا تقر بوا بلادي، فازسل معنا اخانا بنيامين بكتل لنفسه كيل بغير آخر زيادة على كيلنا وإنا لحافظون له من أن يناله مكروه معنا في سفره.

ولما أراد أولاد يعقوب عليه السلام الخروج من عند أبيهم والسفر إلى مصر ليمتاروا ويحبلبوا الطعام أو صاهم بعد أن أذن لأخيه بنيامين في الرحيل معهم قال لهم: "يا بني لا تدخلوا من باب واحد وأدخلوا من أبواب متفرقة" حيث كان مصر كما قيل: أربعة أبواب، حيث خاف عليهم أن يصيبهم أحد الباعين والحسد.

رجع إخوة يوسف عليه السلام إلى مصر ودخلوا من أبوابها المتفرقة كما أمرهم أبوهم يعقوب عليه السلام ثم دخلوا على يوسف الصديق عليه السلام فانزلهم منزلاً رحباً وأكرمهم وأحسن ضيافتهم وقدم لهم الطعام والشراب وأجلس كل اثنين من إخوته على مائدة واحدة، فبقي بنيامين وحيداً وقال بحزن ورافة: لو كان أخي حياً لأجلستني معه، فسمع يوسف عليه السلام كلام أخيه من أبيه وأمه فضمه إليه وقال لإخوته الحاضرين: اني أرى هذا وحيداً فالجلسه معه على مائدته. فلما خلا وانفر به قال له: هل لك أخ من أمك؟ فقال له بنيامين: كان لي أخ من أمي قمام، فقال له: اني أنا أخوك يوسف فلا تتنسى أي لا تحزن ولا تياس بما كانوا يعملون فيما مضى من حسداً وما حرصوا على صرف وجه ابينا عنا ولا تعلمهم بما أعلمتكم.

عودة يوسف إلى أبنية

بعد طول انتظار شاءت الأقدار واجتمع سيدنا يوسف مع أبيه سيدنا يعقوب عليه السلام الذي أصابته الكثير من الأمراض، فقد فقد البصر بسبب فقدان ابنه يوسف، واعتذر في إخوته بما فعلوه به وطلبوا من سيدنا يعقوب القيام بالاستغفار وطلب الرحمة من الله سبحانه وتعالى لهم.

وفاة سيدنا يوسف

بعد ما استقر وضع سيدنا يوسف وأصبح عزيز مصر، وورثته لابيه سيدنا يعقوب عليه السلام وإخوته، طلب من الله عز وجل أن يقبض روحه ويتوفاه ويجمعه مع النبيين والصديقين في جنات النعيم، وأن ينتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة التي فيها الحياة الدائمة، يذكر أنه لم يطلب نبي من الله أن يتوفاه قبل سيدنا يوسف عليه السلام، وبعد موته تم دفنه في مصر.

فتاوى

ما حكم من يصوم رمضان ولا يصلي؟

الإفتاء: من صام وهو لا يصلي صومه صحيح يسقط عنه الفرض؛ لأنه لا يشترط لصحة الصوم إقامة الصلاة، ولكنه أتم شرعاً من جهة تركه للصلاة ومز تكب الكبيرة من كبار الذنوب، وعليه أن يجار بالتوبة إلى الله تعالى. أما مسألة الأجر فموكولة إلى الله تعالى، غير أن الصائم المصلي أرجى ثواباً وأجرًا وقبولاً ممن لا يصلي.

البحرين

أما في البحرين، وعلى ساحل البحر بالعاصمة المنامة، فكان من عادة الناس أن يتجمعوا مع أولادهم الصغار من أجل مشاهدة إطلاق المدفع موبياً وقت حلول موعد المغرب، إلا أن وباء كورونا سيحول دون ذلك هذا العام.

سلطنة عمان

وفي سلطنة عُمان، وعلى الرغم من اندثار عادة إطلاق مدفع رمضان، تبقى آثاره ومجساته وأعداد منه تُشاهد في المتاحف والمناطق السياحية والعامه.

تعبيرها تذكر أمر يوسف عليه السلام وما وصاه به، فأرسلوه إلى يوسف عليه السلام فلما جاءه وقص عليه رؤيا الملك أجابه يوسف عليه السلام إلى طلبه فعبر منام الملك بوقوع سبع سنين في الخصب والرخاء ثم سبع سنين جدد وذلك تاويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ سورة يوسف، يعني يتأنيهم الغيث والخصب والر فاهية ﴿وفيه يعصرون﴾ يعني ما كانوا يعصرونه من الأعاب والزيتون والسمسم وغيرها.

ولما رجع الساقى إلى الملك وأخبره بتاويل رؤياه التي سمعها من يوسف عليه السلام وقع في نفسه صدمة ما قال عليه السلام، وأدرك ما عند يوسف من علم وعقل تام ورأي سديد فقال: انتوثني بالذي عبر رؤياي، وأمر بإحضاره إليه ليكون من جملة خاصته ومن المقرين بينه..

لقاء يوسف وإخوته

مرت السنين السبع المخصبة وأعد يوسف عليه السلام عدته فيها، واتخذ الخزائن وخبز الغلات في غلغها، ثم جاءت السبع سنين المجدية واشتد الجُبد والقحط في أنحاء الأرض، فاما اهل مصر فصار يوسف عليه السلام يبيعهم من الطعام ما يقبضهم، وأحسن له الشام بالجوع والبلاء الذي عم في كثير من البلاد وعلما أن الطعام بمصر.

وذاذ أمر نبي الله يوسف عليه السلام الموكل على خزائن الطعام في الأفاق، وانتشر عدله ورحمته ورافته، فقال يعقوب عليه السلام لأولاده: يا بني انه قد بلغني أن بمصر ملكاً صالحاً فانطلقوا إليه واعرفوه مني السلام وانتسبوا إليه لعله يعرفكم، فانطلق أولاده ومعهم الجمال والحмир لحمل الطعام ومعهم الثمن إلى مصر لشراء قوت أهلهم، وقدموا مصر ودخلوا على يوسف عليه السلام فراهم ففرقهم وهم لم يعرفوه، لأنهم شاهدوا من لباسه وزيه ما لم يكن عرفوه في أخيه من قبل، وأما إخوته فهم على حالهم في ملابسهم ولغنتهم ومنظرهم وجمالهم، فجهز يوسف عليه السلام إخوته بجهازهم وإعطاهم من الطعام ما جرت به عادته من إعطاء كل إنسان حمل بغير بعد أن أكرمهم وأحسن ضيافتهم وأظهر لهم السحابة والكرم. قال لهم: انتوثني باخ لكم من أبيكم وكان قد سألهم عن حالهم وأنه هم؟ وذلك أنه رأى إخوته جميعاً إلا شقيقه بنيامين وهو أصغر منه، فأخذ عليه السلام في استدرأجهم حتى علم منهم حياته وأنه عند أبيه لم يسمح بمفارقته لشدة تعلق قلبه بمحبته، وخشي عليه السلام ألا يكون عند إخوته البضاعة التي يبادلون بها الطعام لما يرجعون به مرة ثانية، فامر فتياحه أن



دعوة يوسف إلى عبادة الله

أخذ نبي الله يوسف الصديق وهو في السجن يدعو إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، فدعا الرجلين اللذين طلبا منه أن يفسر لهما رؤييهما إلى دين الإسلام وعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام وأخذ يصر لهما أمر الأصنام ويحرقها لأنها لا تضر ولا تنفع.. بعد أن تحدث يوسف عليه السلام مع صاحبيه في السجن عن الأهم والأولى وهو دعوتهما إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، أخبرهما بعد ذلك بتاويل رؤييهما فقال للاول وهو الساقى: أما الأغصان الثلاثة فقلانة أيام يبعث إليك الملك بعد انقضائها فيردك إلى علمك سابقاً....

رؤيا الملك

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عَجَافٍ وَسَبْعَ سَبَلَاتٍ حَضْرٍ وَأَخْرَ يَابِسَاتٍ بَأْ يُهَا الْمَلِكُ أَقْضَى فِي رُؤْيَائِي إِنْ كُنْتُمْ لَرُؤْيَا تَعْبِرُونَ﴾ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتاويل الأحلام بعالمين﴾ سورة يوسف. قدر الله تبارك وتعالى بتقديره الأزلي أسباباً لخروج نبيه يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاحترام والإكرام، وذلك أن ملك مصر رأى في منامه سبع بقرات سمان خرجن من البحر وخرجت في آثارهن سبع بقرات هزال ضعاف، فأقبلت على البقرات السماني فاكلتهن، فاستيقظ الملك من نومه مذعوراً، ثم نام ثانية فرأى سبع سبيلات خضر وقد أقبل عليهن سبع يابسات فاكلتهن حتى اتين عليهن، فدعا أشرف قومه فقصها عليهم وطلب منهم أن يفتوه في رؤياه هذه. ولما سمع الناجي من السجن وهو ساقى الملك برؤيا الملك ورأى عجز الناس عن

انتهاج المحنة الأولى في حياة هذا النبي الكريم، لبثنا المحنة الثانية، والفصل الثاني من حياته. ثم يكشف الله تعالى مضمون القصة العبد في بدايتها (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون). لقد انطلقت جذران العبودية على يوسف. التي في البئر، أهين، حرم من أبيه، التقط من البئر، صار عبداً يباع في الأسواق اشتراه رجل من مصر، صار مملوكاً لهذا الرجل، انطلقت المناساة، وصار يوسف بلا حول ولا قوة، هكذا يظن أي إنسان غير أن الحقيقة شيء يختلف عن الظن تماماً.

الفصل الثاني في حياته

في هذا المشهد تبدأ محنة يوسف الثانية، وهي أشد وأعمق من المحنة الأولى، جاءتته وقد أوتى صحة الحكم وأوتى العلم -رحمة من الله- لبواجها وينجو منها جزاء إحسانه الذي سجله الله له في قرآته، يذكر الله تعالى هذه المحنة في كتابه الكريم: وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ مَتَى قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَقْوَايَ إِنَّهُ لَا يُلْقِي الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْخَالِصِينَ (24) (يوسف)

يقف هذا النبي الكريم في وجه سيدته قائلاً (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَقْوَايَ إِنَّهُ لَا يُلْقِي الظَّالِمُونَ) أعيد نفسي بالله أن أفعل هذا مع زوجة من أكرمني بأن نجاني من الحب وجعل في هذه الدار مئوى الطيب الآمن، ولا يفلح الظالمون الذين يتجاوزون حدود الله، فيرتكبون ما تدعيني للحظة إليه.

يبدو أن يوسف -عليه السلام- أثر الانصراف متجه إلى الباب حتى لا يتطور الأمر أكثر، لكن امرأة العزيز لحقت به لتمسكه، تدفعا الشهوة لذلك، فامسكت قميصه من الخلف، فتمزق في يدها، وهنا تطلق المجاعة، فتح الباب زوجها -العزيز، وهنا تتبدى المرأة المكتملة، فتجد الجواب حاضرا على السؤال الديه الذي يطرح الموقف، فتقول منتهمة الفتى: قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يَسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَأَقْرَحَتْ هَذِهِ الْمِرَاةَ -العاشقة- سريعا والعقاب -المأمون- الواجب تنفيذه على يوسف، خشية أن يفك به العزيز من شدة غضبه، بينت للعزيز أن أفضل عقاب له هو السجن، بعد هذا الاتهام الباطل والحكم السريع جهر يوسف بالحقيقة ليدافع عن نفسه، قال هي راوتني عن نفسي انتهى الحادث الأول، لكن الفتنة لم تنته، فلم يفصل سيد البيت بين المرأة وفتاها، كل ما طلبه هو إغلاق الحديث في هذا الموضوع، غير أن هذا الموضوع بالذات، وهذا الأمر يصعب تحقيقه في قصر يمتلئ بالخدم والخادما والمستشارين والوصيقات.

دخول يوسف السجن

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ حَتَّىٰ حَبْرَ﴾ سورة

.. «كورونا» يحرم الأطفال متعة التجمع حول مدفع الإفطار

كورونا السكان من التجمهر حول المدافع كما كان ذلك في رمضان السابق وما قبلها.

المدينة المنورة

أهل المدينة المنورة بالسعودية أصروا عام 2014 على إعادة مدفع الإفطار لحبهم لتلك الصورة الرمضانية، وعاد المدفع عمله فعلاً بعد توقف دام 20 عاماً، واتخذت منطقة «سليح» القريبة من منطقة الحرم النبوي مقراً دائماً له، وسيطلق رغم وباء كورونا هذا العام، لكن دون أي مشاهدين يرونه بشكل شخصي.

قطر

أما في قطر فلم يتمكن الناس والسياح من التجمع حول مدفع الإفطار لمشاهدته مدوياً بصوته إيداناً بالعودة إلى الزن الماضي، وذلك مع دخول وقت المغرب طوال أيام رمضان كما كان سابقاً؛ بسبب وباء كورونا المستجد والإجراءات الاحترازية المتبعة.

دبي

في حين حرصت بلدية دبي -رغم تقشي فيروس كورونا- على إبقاء صورة المدفع الرمضاني لكن دون جمهور هذا العام، حيث سيوجد في أربعة مواقع من الإمارة. وسيتمكن السكان من مشاهدة مدافع رمضان من منازلهم بسبب المناطق التي تم اختيارها في دبي.

الكويت

ومن الصعب حدوث تجمعات في الكويت عند مدفع الإفطار الذي يقع قرب سوق المباركية التراثي في قلب العاصمة.

اختباره لكونه مدفعاً جديداً، وصادف ذلك غروب أول يوم من رمضان عام 865هـ، فظن الناس أن السلطان تعمد إطلاق المدفع لتتبيه الصائمين إلى أن موعد الإفطار قد حان، فخرجت جموع الأهالي إلى مقر الحكم تشكر السلطان على هذه البدعة الحسنة التي استحدثها، وعندما رأى السلطان سرورهم قرر المضي في إطلاق المدفع كل يوم إيداناً بالإفطار، ثم أضاف بعد ذلك مدفعي السحور والإمساك. وبدأت الفكرة تنتشر في أقطار الشام أولاً بعد مصر، ثم إلى بغداد أواخر القرن التاسع عشر، وبعدها انتقلت إلى مدينة الكويت، ثم انتقلت إلى أقطار الخليج كافة، فاليمن والسودان ودول عربي أفريقيا ودول شرقي آسيا.

اليوم، وبفضل التطور الهائل في الصناعات والتقنية، ما عاد مدفع الإفطار يعتمد مؤقراً ومنبهاً للصائمين، وبدأ التخلي عنه منذ بداية القرن الماضي مع انتشار المساجد التي تطلق أذانها من خلال مكبرات الصوت، وباعتماد الساعات المنبهة، ومنبهات الهواتف الجواله، بالإضافة إلى المحطات التلفزيونية التي تبث الأذان بجميع أوقات.

كورونا.. يمنع التجمهر

وقبل كورونا كان سكان الخليج يهتمون بشكل كبير بمدفع الإفطار، الذي يمثل عندهم قيمة وذكرية كثيرة، فكانوا يصرون على إجران جههم واعتزازهم به، حيث وضع في الساحات العامة، وفي المتاحف، كما صنعت مجسمات وضعت بأماكن عامة في جميع الدول الخليجية باعتباره رمزاً من رموز الشهر الفضيل. لكن مع حلول كورونا لم يبق لذلك الترات المهم حضور تفاعلي، إذ حرمت التدابير الاحترازية لمواجهة تقشي فيروس

جاء رمضان هذا العام في أجواء مختلفة؛ بسبب تقشي فيروس كورونا المستجد في عموم أنحاء العالم، مانعا الناس من التجول والخروج، ومغلقة المساجد والأماكن العامة التي كانت تعج بالمسلمين الذين ينتظرون الشهر الكريم.

في حين يبقى لبعض أشكال الطقوس التقليدية المرتبطة بالتاريخ في منطقة الخليج العربي حضورها، حاملة معها ذكريات سنوية لا تُنسى من رمضان ولياليه، وإن كانت تُرى عن بعد أو شرفات المنازل..

مدفع رمضان

هناك العديد من التسميات والصور المختلفة التي تشع بجهاء الماضي والقه، وعبق القدم الذي يحكي للأجيال تاريخاً طويلاً لم يغادر ذاكرة سكان الخليج العربي، وبإصرار يحاولون الحفاظ عليه تعظيماً لتاريخ مشرف كان أساساً لزوغ فجر جديد عبء الطريق وصولاً إلى حاضر مزدهر..

ومن بين تلك الصور العالقة في قلوب شعوب بلدان الخليج قبل عقولهم مدفع رمضان، هذه الآلة المدمرة الفتاكة القاتلة، التي صارت فيما بعد حبيبة قريبة مقربة؛ حين ارتبطت بأحب المناسبات إلى قلوب المسلمين؛ شهر رمضان، الذي يعلن المدفع فيه نهاية وقت الصيام، في زمن لم تكن تعرف أجياله بعد مكبرات الصوت التي توصل صوت المؤذن المُعلن لوقت حلول الإفطار إلى أبعد مدى..

وتدرجياً وصل العرف باعتماد المدفع معلناً وقت الإفطار إلى دول الخليج، بعد اعتماده لأول مرة في القاهرة، وكانت مجموعة من الجند وبأمر من السلطان الملوكي خشقدم جربوا مدفعاً على سبيل

